كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذة: نسيمة غضبان

المستوى/التخصص:الأولى ماستر /اللسانيات العربية(الأفواج 1-2-3)

المقياس :ببليوغرافيا علوم اللسان العربي الحديثة

:عنوان الدرس التطبيقي:أغلاط اللغويين الأقدمين للكرملي

المدة الزمنية: ساعة ونصف

الأهداف التعليمية:

-إبراز دور أنستاس الكرملي في تصويب أخطاء اللغويين القدماء وتبيين جهوده في مجال التصحيح اللغوي

1/التعريف بالمؤلف :

أنستاس ماري الكرملي : هو اسم شهرته ، واسمه الحقيقي بطرس جبرائيل يوسف عواد . كاتب ولغوي مدقق شغوف باللغة العربية ، ورجل دين مسيحي كان له محبوه ومريدوه لأخلاقه ومزاياه ، ولد في بغداد، الخامس من أوت 1866م ، وتوفي في السابع من جانفي1947م تاركاً مكتبة تعد من أضخم المكتبات الخاصة في العراق ، ضمت نحو عشرين ألف مجلد ، بينها 1335 مجلدا مخطوطا.

عُرف الأب انستاس الكرملي بغيرته العظمى على العربية وكان يرى في الخروج عن سنن العربية خطأ لا يتساهل فيه فلا يتخذ من الشيوع مجوزا ومسوغا ، لذلك حارب العامية ودعا إلى نبذها لكنه ،شجع على دراسة الأساليب العامية دراسة نحوية تاريخية خدمة للغة الفصيحة .. عرف بكثرة مطالعاته ، تستهويه اللفظة فيبحث في بنائها، وأصلها، واشتقاقها، وقرابتها من لغة سامية أخرى أو غير سامية ، وتستهويه حكاية شعبية، أو مثل شعبي، فيحرص على تسجيله على النحو الذي سمعه من أصحابه باللحن العامي ، وهو دقيق في التسجيل، ويفرق بين عامية الموصل، وعامية بغداد، وعامية المسلمين، وعامية النصارى أو اليهود في المدينة الواحدة ، وتستهويه قصة أو حكاية أو مسرحية، لكاتب فرنسي لغرض نبيل ترمي إليه فيعمد إلى ترجمتها ، ويميل إلى معرفة البلاد فيبحث فيها بحثا لغويا اجتماعيا تاريخيا، ويستهويه كتاب قديم في التاريخ فيعمد إلى تحقيقه وإخراجه . ومن مزاياه الحسنة أخذه بيد الناشئة من المتأدبين والكتاب وتشجيعهم . ومن عاداته أنه كان يجيب على كل رسالة ترد إليه من

مختلف طبقات الناس، وفي اليوم نفسه الذي يتسلمها ، إلا إذا كان الجواب يستدعي بحثا ورجوعا إلى المصادر . وكان يحافظ على المواعيد .

2/مؤلفاته

ألفَّ كثيرا من المؤلفات ، وأغلبها ضخمة وفي مجلدات ،كان يقصدها علماء بغداد، والكاظمية والنجف، وكربلاء ، إلاّ أن الأتراك استولوا على أغلبها في سنة 1914، حين نفوه فمنها ما أحرقوه، ومنها ما تصرفوا فيها، ونجت من أيديهم بعض المؤلفات.

ومن مؤلفاته :نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها ، المساعد . معجم لغوي ، مجموعة من الأغاني العامية العراقية ، أغلاط اللغويين الأقدمين ، رسالة في الكتابة العربية المنقحة ...وغيرها.

كما تولى تحقيق أجزاء من بعض المخطوطات ، منها الجزء الثامن من كتاب الإكليل لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني ، وقطعة صغيرة من معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي تولى تحقيقه كاملا ونشرته دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد، في العقد الثمانيني من القرن العشرين ؛ الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي رحمهما الله.

3/ قراءة في كتاب أغلاط اللغويين الأقدمين:

هذا الكتاب كان عبارة عن مقالات متفرقة منشورة في الجرائد، ثم جمعت لتصبح كتابا يحمل عنوان "أغلاط اللغويين الأقدمين"، وفي هذا الشأن يقول صاحب الكتاب :"**كنا أنشأنا مقالات متسلسلة، فى سنة 1933 بعنوان " أغلاط اللغويين الأقدمين" فأدرجت في الأهرام، الجريدة المصرية اليومية الشهيرة، التي تصدر في القاهرة. وكان ظهور المقالة الأولى،في 8 مايو. وكانت الغاية من هذا النشر، أن يطلع أصحاب الكفاية على ما نكتب ليدلونا على أوهامنا، وأغلاطنا، لنصلحها ونرجع عنها . و حملة الأقلام الحقيقيون الجهابذة من أبناء وادي النيل، وسورية، وفلسطين، والعراق، فقد ألحوا علينا أن ننشر تلك الآراء في كتاب قائم بنفسه ليتسنى لهم إعادة النظر في ما ذهبنا إليه، والاحتفاظ بما وقفنا عليه، والعمل بما أنعمنا النظر فيه وحققناه ، وها هو هذا الكتاب يحمل بين دفتيه هذه المقالات**"[1].

وفي هذا الكتاب، هاجم الكرملي المعجمات الحديثة، وانتقدها بشدة وبشكل خاص: ''محيط المحيط'' للبستاني، و''أقرب الموارد''للشرتوني ،حيث يرى الأب أنستاس الكرملي: أن أصل المشكلة في وجود تلك الأخطاء، تعود إلى المستشرق الألماني (جورج فريتاغ)، الذي كتب قاموسا عربيا لاتينيا في عام

[1] أنستاس ماري الكرملي :أغلاط اللغويين الأقدمين ،مقدمة الكتاب

1830. اعتمد فيه على القاموس الذي كتبه المستشرق الهولندي (ياكوب خوليوس)، الذي كان من أكثر الأوروبيين حماسا إلى الدعوة لتعلم اللغة العربية، نظرا لأهميتها، وتاريخها، وعلاقتها بالغرب. جاء بعده كتاب ''محيط المحيط'' لكاتبه بطرس البستاني، والذي هو الآخر اعتمد في مضمونه على معجم ''المحيط'' للفيروز آبادي، لكن البستاني حذف وأضاف كثيرا من نسخة الفيروز آبادي. جاء بعد ذلك الشرتوني ونقل أخطاء البستاني، وهكذا انتقلت الأخطاء اللغوية من مصدر إلى آخر، عبر الزمن من كتب اليسوعيين.

وفي هذ الشأن يقول: "ونحن نشتغل بهذه اللغة الشريفة العدنانية ، منذ أكثر من خمسين عاما ونرى في معاجمنا بعض الشوائب ، ونجمعها الواحدة بعد الأخرى ،ولما اجتمع عندنا نحو مائتين ، وضعناها في كتاب لم يتم ، فسرق مع ما سرق من كتبنا ، ولما ألقت الحرب أوزارها، عدنا إلى تدوينها كلما مرت واحدة منها بخاطرنا ، والآن عزمنا على نشرها لغايتين :

أولاهما :أن يرشدنا أحد المطالعين إلى ما في هذه الخواطر من الخطأ .

ثانيهما :أن تحفظ في جريدة تجوب الآفاق العربية من أقصاها إلى أقصاها ، حتى يعم نفعها ، إن كان لها نفع ، ونحن لا ندعي العصمة إنما الكمال لله تعالى وحده."[1]

قام الأب أنستاس الكرملي بعرض تلك الأخطاء في كتابه، وأضاف المصطلحات الحديثة في وقتها. كذلك نشرها في الإصدار الدوري للمجمع العلمي العربي في دمشق، وهي موجودة الآن بكامل أعدادها في مكتبة آداب الإسكندرية. من هذه المصطلحات: الوراقي، الوراق، التهذيب، التشذيب[2]، الصعقب[3]، القراط، النقاش، التنشير....الخ

[1] أنستاس ماري الكرملي كأغلاط اللغويين الأقدمين ،ص06

[2] تشذيب أوراق الشجر يعني تقليمها، وتشذيب العبارة يعني: تهذيبها والعناية بتركيبها

[3] خربة صعقب: بمعنى خربة الرجل الطويل الذي كان يسكنها

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذة: نسيمة غضبان

المستوى/التخصص:الأولى ماستر /اللسانيات العربية(الأفواج 1-2-3)

المقياس :ببليوغرافيا علوم اللسان العربي الحديثة

عنوان الدرس التطبيقي:جهود جورجي زيدان اللغوية : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ،وكتاب اللغة العربية كائن حي .

المدة الزمنية: ساعة ونصف

الأهداف التعليمية:

- الإلمام بالجهود اللغوية التي بذلها جورجي زيدان من خلال كتابه: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية .
- حصر الجهود اللغوية التي بذلها الكاتب، من خلال كتابه اللغة العربية كائن حي.

1/التعريف بالمؤلف :

جُرجي زيدان: مفكّرٌ لبناني، يُعَدُّ رائدًا من روَّادِ تجديدِ عِلمِ التاريخِ واللّسانيَّات، وأحدَ روَّادِ الروايةِ التاريخيةِ العربية، وعَلَمًا من أعلامِ النهضةِ الصحفيةِ، والأدبيةِ، والعلميةِ الحديثةِ في العالَمِ العربي، وهو من أخصبِ مؤلّفي العصرِ الحديثِ إنتاجًا.

وُلِدَ في بيروتَ عامَ ١٨٦١م لأسرةٍ مسيحيةٍ فقيرة، وبالرغمِ من شغفِه بالمعرفةِ والقراءة، فإنه لم يُكملْ تعليمَه بسببِ الظروفِ المعيشيةِ الصعبة، إلا أنه أتقنَ اللغتَينِ الفرنسيةَ والإنجليزية، وقد عاوَدَ الدراسةَ بعدَ ذلك، وانضمَّ إلى كليةِ الطب، لكنَّه عدَلَ عن إكمالِ دراستِه فيها، وانتقلَ إلى كليةِ الصيدلة، وما لبِثَ أن عدَلَ عن الدراسةِ فيها هي الأخرى، ولكنْ بعدَ أن نالَ شهادةَ نجاحٍ في كلٍّ منَ اللغةِ اللاتينيةِ ،والطبيعياتِ، والحيوانِ، والنباتِ، والكيمياءِ، والتحليل.

سافَرَ إلى القاهرة، وعملَ محرِّرًا بجريدةِ «الزمان» اليوميَّة، ثُم انتقلَ بعدَها للعملِ مترجمًا في مكتبِ المُخابراتِ البريطانيةِ بالقاهرةِ عامَ ١٨٨٤م، ورافَقَ الحملةَ الإنجليزيةَ المتوجِّهةَ إلى السودانِ لفكِّ الحصارِ

الذي أقامَته جيوشُ المَهدي على القائدِ الإنجليزيِّ «غوردون». عادَ بعدَها إلى وطنِه لبنان، ثم سافرَ إلى لندن، واجتمعَ بكثيرٍ من المُستشرقينَ الذين كانَ لهم أثرٌ كبيرٌ في تكوينِه الفِكْري، ثم عادَ إلى القاهرةِ ليُصدرَ مجلةَ «الهلال» التي كانَ يقومُ على تحريرِها بنفسِه، وقد أصبحَتْ من أوسعِ المَجلاتِ انتشارًا، وأكثرِها شُهرةً في مصرَ والعالَمِ العربي.

رحَلَ عن عالَمِنا عامَ ١٩١٤م، ورثَاه حينَذاك كثيرٌ منَ الشُّعراءِ أمثال: أحمد شوقي، وخليل مطران، وحافظ إبراهيم.

2/ مُؤلّفاته:له مؤلفات في شتى المجالات ، لكننا سنذكر منها ما تخصص فيه في اللغة العربية وآدابها ، وهذه المؤلفات هي:

- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية –بيروت 1889
- تاريخ آداب اللغة العربية –أربعة أجزاء– مصر 1911.
- اللغة العربية كائن حي –بيروت 1988 –طبعة ثانية

3/ جهوده اللغوية في كتابه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية :

تأثر جرجي زيدان بنظرية «النشوء والارتقاء» التي صاغها تشارلز داروين، وحاول أن يطبق نظرية التطور على اللغة العربية، فأصدر في سنة 1886 كتابه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ليبحث نشوء اللغة العربية وتطورها، باعتبارها لغة اكتسابية وخاضعة لناموس الارتقاء. ثم درس كيف نطق الإنسان العربي الأول المفردات، وكيف تولدت الألفاظ، وعلاقة الألفاظ بالأصوات، ثم كيف نشأت اللغة. أما كتابه تاريخ اللغة العربية، فهو بحث معمق ينتمي إلى السياق الفكري نفسه لدى جرجي زيدان، وهو يتناول تاريخ اللغة، ومعاني الألفاظ، وأصولها، وتحولاتها، وتراكيبها، وما دثر منها وما تولد عنها. وقد ارتأى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أن يعيد إصدار هذين الكتابين ويجمعهما في كتاب واحد.

منذ بداية الكتاب، يعلن زيدان أنّه يرفع دراسته إلى أهل النظر والتحقيق، لمزيد من التأمل والنظر، بمعنى أنّ كتابه ليس لعامة المثقفين، الذين لم يأنسوا كتب النظر العقلية، فما بالك بكتاب ينظر في دقيقة لغوية تنتمي إلى المباحث اللغوية العقلية المحضة. أما الإشكال العامّ للكتاب فهو: كيف نشأت اللغة العربية وتكونّت؟

للإجابة عن هذا السؤال، وبعد تحديد مفهوم اللغة العربية، دار البحث فيه حول خمس قضايا، تتلوها خمس نتائج، أما القضايا فهي:

أ- الألفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد، وأن هذه التنوعات قد حصلت بموجب ناموسين عظيمي الاعتبار هما: القلب والإبدال؛ الأول – القلب – يميل إلى تخفيف اللفظ أو التفنن فيه. والثاني – الإبدالُ – يأتي نتيجة علة طبيعية في أعضاء النطق في أول الأمر، ثم بالاستعمال تحفظ التنوعات، وربما خصصوا كل تنوع لفظي بتنوع من المعنى الأصلي، ويشبه ذلك ما حدث في العامية المصرية.

ب- الألفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها، إنما هي بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها؛

والدليل أن استقراء هذه الألفاظ في لغات متفاوتة، يري أنها تقرب من الدالة على معنى في نفسها، بقدر ما تبتعد من الارتقاء والتهذيب، حتى نصل أخيراً إلى أدنى اللغات، فنراها خالية من الأدوات والحروف على الإطلاق، ولكنها تستخدم بعض الأفعال أو الأسماء لقضاء وظيفتها... من ثمة صحّ أن الاشتقاق والتصريف مثلا، حادثان في اللغة يتبعان بيئة الأمة التي ينتميان إليها فقط. أما أصل الألفاظ فهو البساطة، ثم تتكاثر بارتقاء تلك اللغة. وعليه يستنتج الكتاب أن اللغة العربية من أرقى اللغات بياناً.

ج- الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها، يرد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية أحادية المقطع، تحاكي أصواتاً طبيعية؛ حيث تشتمل على الاسم والفعل وما يشتق منهما، وإن ردهما اللغويون إلى أصول ثلاثية أو رباعية، فإن الكتاب ردها إلى أصول أقل من ذلك، تحاكي أصواتاً طبيعية ومن كون ألفاظ اللغة من شأنها التغير والتنوع لفظاً ومعنى، على أن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها، يرد معظمها إلى أصول ثنائية أحادية المقطع تحاكي أصواتاً طبيعية.

د- جميع الألفاظ المطلقة ،كالضمائر وأسماء الإشارة ونحوها، قابلة الرد بالاستقراء إلى لفظ واحد، أو بضعة ألفاظ؛ حيث تمكنُ الدلالة بواحدة منها على أي نوع من الموجودات، تشمل الضمائر واسم الإشارة والاسم الموصول، مع العلم أن هذه الألفاظ كما لاحظ جرجي زيدان، تكاد تكون واحدة جميعها، وأنها من الأدلة الواضحة على وحدة الأصل فيها. كما يؤكد أن تحسن الإشارة عند الاقتضاء إلى أوجه المشابهة بينها، لعلها تسعفنا في تتبع الأصل المتفرعة عنه كل هذه الفروع.

هـ- ما يستعمل للدلالة المعنوية من الألفاظ، وضع أصلاً للدلالة الحسية، ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية؛ وبالتالي فإن الدلالة الحسية هي الأصل، والمعنوية هي الفرع، حملت مجازاً لتشابه في الصور الذهنية ؛لأن المحسوسات كما يؤكد جرجي زيدان ،هي أول ما تستلفت انتباه الإنسان، وهي سابقة في ذهنه على المعنويات؛ لأنه في أبسط أحوال عيشه لم يكن في احتياج إلا للمعاني الحسية.

ومن النتائج التي خلص إليها الكتاب، الآتي:

يلاحظ جرجي زيدان أن الاختلافات الموجودة بين اللغات، إنما ترجع إلى ما عليه اللغة من التعرض للمؤثرات الخارجية، التي طالما غيرت ولم تزل تغير من سائر أحوالنا، عملاً بناموس الارتقاء العام. وهذا

الاختلاف في الألفاظ، يلاحظ في الأمة الواحدة لعلة طبيعية في أعضاء النطق. ومن الأمور المثيرة التي يتوقف عندها الكتاب، أن اللغة العربية من أسمى اللغات السامية، التي تعد معرفتها ضرورية لإتقان أخواتها. وقد كانت محصورة في شبه جزيرة العرب. فلما زهر الإسلام، أخذت في الانتشار إلى أن ملأت الخافقين[1] بسبب الفتوح الإسلامية المشهورة، فامتدت من الشرق إلى الغرب بين أواسط الهند وبوغاز جبل طارق، ومن الشمال إلى الجنوب بين البحر الأسود وبحر العرب... فعمت معظم العالم المتمدن في ذلك الحين.

ولولا القرآن لاستقلت لغة كل شعب ،حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها ،كما حصل في فروع اللغة اللاتينية، لكن محافظة المتكلمين بالعربية على لغة القرآن، والرجوع إليها فيما يكتبونه ويخطبون فيه، جعل لغاتهم المولدة مرجعاً، يجمع لغاتهم إلى أصل واحد لا يخفى. ثم مسألة أخرى يؤكدها جرجي زيدان، أن اللغة أصولها قليلة، محاكاة من "الطبيعة" أو أصوات "الغريزة"، ومن هذه الأصول القليلة نشأت الأفكار، وتعددت الألفاظ بتعدد احتياجات المتكلمين بها، وتعدد أشكال التعبير ومعاني الألفاظ بتنوع الأحوال.

إنّ تعدد الألفاظ وأحوال التعبير جرت على طرق أهمها أربع، بحسب جرجي زيدان: النحت والإبدال، والقلب والاستعارة، وقد حصل ذلك قبل أن تفترق اللغة العربية ولا تزال في حجر أمها، وبعبارة أخرى قبل افتراقها عن أخواتها السامية العبرانية والسريانية وغيرهما، أي إذ كانت رهن لغة واحدة.

و أنّ التفرعات، والتنوعات، والأدوات اللغوية، وطرق الاشتقاق، والتصريف، قد بلغت معظم ارتقائها في أزمنة غاب عن الإنسان حدها. لكن الأسئلة التي تبقى قائمة في هذا السياق، كلها تدور كلها حول منشأ أصل اللغات السامية أو الآرامية التي توصف بكونها "أم اللغات"؟.

خلاصة القول، إنّ كتاب جرجي زيدان " **الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية**"، يعدّ علامة فارقة في الدراسات اللغوية العربية في عصر النهضة، وقد أحسن المركز العربي للأبحاث، ودراسة السياسات بإعادة إصدار هذا الكتاب، نظراً لأهميته التاريخية، والمعرفية، والفلسفية اللغوية، لأن مسألة اللغة العربية وإنعاشها وتطورها –كما جاء في المقدمة – باتت شديدة الحيوية اليوم، في عصر متسارع يكادُ يبيد كل قديم.

4/ جهوده اللغوية في كتابه اللغة العربية كائن حي:

يعد كتاب "اللغة العربية كائن حيّ"، إضافة خاصّة للعربية في نظرته العامّة للفلسفة اللغوية؛ فيتحدث فيه عن مراحل تطوّر وتنوع معاني، ومدلولات ألفاظ العربية، و توظيفاتها عبر العصور. إضافة لاختلاف تراكيبها وأساليبها. كما يتحدّث أيضا عن الدخيل منها في كلّ مرحلة تاريخية.

كان جرجي زيدان على دراية واسعة بالحقل اللغوي نظرياً وعملياً، فمن الناحية النظرية اهتم زيدان

[1] الخافقان :هما أفق المشرق وأفق المغرب ؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما .

بالدراسات المتعلقة بفلسفة اللغة وتاريخها، بالإضافة إلى دراسته لفقه اللغة المقارن، كما أنه كان على اطلاع بالنظريات اللغوية الحديثة في زمنه، أما من الناحية العملية، فقد أجاد العربية، والعبرية، والسريانية، واللاتينية، والإنجليزية، والفرنسية، الألمانية، كما كان على دراية بالإيطالية ،والإسبانية وتمكنه من هذه اللغات ،جعله يتمكن من فهم ما يقرأ، وقد دفعه هذا الإلمام الكبير بالميدان اللغوي، إلى تقديم هذا الكتاب الذي يتناول فيه تاريخ اللغة العربية، وما طرأ عليها من التغيير بالتجدد والاندثار، فبين لنا كيف تندثر ألفاظ وتراكيب وتولد أخرى، وكيف تقضي الأحوال لهذا المولد الجديد، وذاك الدثور القديم.

وهو يقسم المتابعة التاريخية للغة العربية في هذا الكتاب إلى عدة نقاط هي: العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، والألفاظ الإدارية في الدولة العربية، والألفاظ العلمية في الدولة العربية، والألفاظ العامة في الدولة العربية، والألفاظ المسيحية واليهودية، والألفاظ الدخيلة من اللغات الأعجمية :كالتركية والكردية، والنهضة الحديثة، التي اقتبست فيها العربية من اللغات الإفرنجية، وفي هذا الشأن يقول:"هذا كتاب صغير في بحث جديد، تنبّهنا له ونحن ننشر الطبعة الثانية من كتابنا الفلسفة اللغوية ؛لأنّ موضوعه تابع لموضوعنا. أو هي خطوة ثانية في تاريخ اللغة باعتبار منشئها وتكوّنها ونموها..

فالفلسفة اللغوية تبحث في: كيف نطق الإنسان الأول؟وكيف نشأت اللغة ،وتولّدت الألفاظ من حكاية الأصوات الخارجية؟ كقصف الرعد، وهبوب الرياح، والقطع والكسر، وحكاية التف والنفخ والصفير ونحوها.. ومن المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الإنسان غريزيا كالتأوه، والزفير. وكيف تنوّعت تلك الأصوات لفظا ومعنى بالنحت، والإبدال، والقلب، حتى صارت ألفاظا مستقلة وتكوّنت الأفعال، والأسماء، والحروف وصارت اللغة على نحو ما هي عليه؟"[1].

ويضيف قائلا:"وأما تاريخ اللغة فيتناول النظر في ألفاظها وتراكيبها، بعد تمام تكوّنها، فيبحث فيما طرأ عليهما من التغيير، والتجدد، أو الدثور، فيبين الألفاظ والتراكيب التي دثرت من اللغة بالاستعمال، وما قام مقامها من الألفاظ الجديدة، والتراكيب الجديدة، بما تولّد فيها، أو اقتبسته من سواها، مع بيان الأحوال التي قضت بدثور القديم وتولد الجديد، وأمثلة مما دثر، أو أهمل، أو تولّد، أو دخل.**وهو بحث لغوي تاريخي فلسفي قسّمنا الكلام فيه إلى ثمانية فصول، باعتبار الأدوار التي مرّت على اللغة** وهي:

1–العصر الجاهلي: ويتناول تاريخ اللغة من أقدم أزمانها إلى ظهور الإسلام..وأوردنا فيه أمثلة مما دخلها من الألفاظ الأعجمية من اللغات الحبشية ، والسنسكريتية، والهيروغليفية، واليونانية، وغيرها،

[1] جورجي زيدان ، اللغة العربية كائن حي ،نشر ،كلمات عربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، مقدمة المؤلف ،ص 07

وأسندنا ذلك إلى أسباب تاريخية. وذكرنا القاعدة في تعيين أصول تلك الألفاظ، وأمثلة مما تولّد في اللغة نفسها من الألفاظ الجديدة، وأيّدنا ذلك بمقابلة العربية بأخواتها، أو بالنظر إلى ألفاظها بحدّ ذاتها.

2–العصر الإسلامي: ونريد به ما حدث في اللغة بعد الإسلام من الألفاظ الإسلامية، مما اقتضاه الشرع، والفقه، والعلوم اللغوية، ونحوها.

3–الألفاظ الادارية في الدولة العربية: وتشمل ما دخل اللغة العربية من الألفاظ الإدارية التي اقتضاها التمدن الاسلامي، عند إنشاء دولة العرب..وهي إما دخيلة، وإما مولّدة. ويتخلّل ذلك بحث في كيفية انتقال اللفظ من معنى إلى آخر.

4–الألفاظ العلمية في الدولة العربية: ويدخل فيها الألفاظ والتراكيب التي اقتضاها نقل العلم، والفلسفة من اليونانية وغيرها، إلى اللغة العربية في العصر العباسي.

5–الألفاظ العامة في الدولة العربية: وهي الألفاظ التي تولّدت في اللغة، أو دخلتها بغير طريق الشرع، أو العلم، كالألفاظ الاجتماعية ونحوها.

6–الألفاظ النصرانية واليهودية: وهي ما دخل اللغة العربية من الألفاظ، والتراكيب السريانية، أو العبرانية بنقل الكتب النصرانية إلى العربية.

7–الألفاظ الدخيلة في الدول الأعجمية: وتتناول ما اكتسبته اللغة من الألفاظ الأعجمية بعد زوال الدول العربية، وتولي الدول التركية والكردية وغيرها.

8–النهضة الحديثة: وفيها ما اقتضاه التمدن الحديث من تولّد الألفاظ الجديدة. واقتباس الألفاظ الإفرنجية، للتعبير عما حدث من المعاني الجديدة في العلم، والصناعة، والتجارة، والإدارة وغيرها."[1]

ونجد من خلال اطلاعنا على الكتاب أن جورجي زيدان قد أخضع اللغة العربية لنواميس الحياة، التي يمر بها الإنسان منذ ولادته، باعتباره كائنا حيا ينمو ويتطور، وذلك هو شأن اللغة العربية ، وفي هذا الشأن يقول جورجي زيدان :"وصدّرنا الكتاب بتمهيد في نواميس الحياة وخضوع اللغة لها، وختمناه بفصل في لغة الدواوين، وخلاصة في مجمل ما تقدّم. على أنّنا نعد ما كتبناه في هذا الموضوع الجديد خواطر سانحة، فتحنا بها باب البحث لأئمة الإنشاء، وعلماء اللغة..فنتقدم إليهم أن يوفوا الموضوع حقّه، أو يزيدونا منه لأنه يحتاج إلى بحث كثير، ودرس طويل. وقد أصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم، والأدب، والشعر، في غاية الافتقار إليه..ليعلم حملة الأقلام أن **اللغة كائن حي نام** خاضع لناموس الارتقاء، وتتجدّد ألفاظها، وتراكيبها على الدوام.. فلا يتهيّبون من استخدام لفظ جديد لم يستخدمه العرب له. وقد يكون يهيبهم مانعا من استثمار قرائحهم، وربما ترتّب على إطلاق سراح أقلامهم فوائد عظمى تعود

[1] المصدر السابق ، مقدمة المؤلف ،ص07،08

على آداب اللغة العربية بالخير الجزيل. ولابد من اعتبار القواعد العامة، والروابط الأساسية، مما أشرنا إليه في محلّه.. ناهيك بما ينجم عن معرفة أصل الكلمة، وتاريخها من تفهم معناها الحقيقي."[1]

ونواميس الحياة التي تحدث عنها المؤلف في كتابه هي:" النمو، أو التجدّد، وهو ينطوي على دثور الأنسجة، وتولّد ما يحلّ محلّها.. ومعنى ذلك؛ أن الجسم الحيّ مؤلّف من خلايا لكلّ منها حياة مستقلّة، إذا انقضت ماتت الخلية وانحلّت أجزاؤها وانصرفت، وتولّدت في مكانها خلية جديدة تتكوّن من العصارات الغذائية، كالدم ونحوه.. فالجسم الحيّ في انحلال وتولّد دائمين. حتى قالوا: إن جسم الإنسان يتجدّد كله في بضع سنين، أي لا يبقى فيه شيء من المواد التي كان يتألّف منها قبلا. وبغير هذا التجديد لا يكون الجسم حيّا. وإذا حدث في جسم الحيوان ما يمنع من تجدّد الأنسجة أسرع إليه الفناء.. فالتجدّد ضروري للحياة.وحياة الأمة مثل حياة الفرد، بل هي ظاهرة فيها أكثر من ظهورها فيه. لأن الأمة إنما تحيا بدثور القديم، وتولّد الجديد.. فكأن أفراد الأمة خلايا يتألّف منها بدن تلك الأمة، وهو يتجدّد في قرن كما يتجدّد جسم الإنسان في عقد من عقود تلك القرون. وإذا تتبّعنا نمو الأمة بتوالي الأجيال، رأيناها تتفرّع وتتشعّب..فتصير الأمة الواحدة أُممًا يتفاوت البعد بينها بتفاوت الأزمان والأحوال. وكلّ أمة من هذه تتشعّب بتوالي الدهور إلى أمم، وهكذا إلى غير حدّ.. وهو ما يعبّرون عنه بناموس الارتقاء العام."[2]

اللغة كائن حي:و إحياء اللغة العربية في نظر جورجي زيدان ،"ينبع الأحياء في الخضوع لهذه النواميس ما هو من قبيل ظواهر الحياة أو توابعها، وخاصة ما يتعلّق منها بأعمال العقل في الإنسان، كاللغة والعادات، والديانات، والشرائع، والعلوم، والآداب، ونحوها.. فهذه تعدّ من ظواهر حياة الأمة، وهي خاضعة لناموس النمو، والتجدّد، ولناموس الارتقاء العام. ولكلّ من هذه الظواهر تاريخ فلسفيّ طويل، نعبّر عنه بتاريخ تمدّن الأمة، أو تاريخ آدابها، أو علومها، أو حكوماتها، أو دياناتها، أو نحو ذلك. وهي أبحاث شائقة، فيها فلسفة نظر.. ومن هذا القبيل تاريخ اللغة وآدابها."[3].

[1] المصدر نفسه ،ص08،09

[2] المصدر السابق، ص11

[3] المصدر نفسه، ص 12

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذة: نسيمة غضبان

المستوى/التخصص:الأولى ماستر /اللسانيات العربية

المقياس :بيبليوغرافيا علوم اللسان العربي الحديثة (الأفواج 1-2-3)

عنوان الدرس التطبيقي:حركة تاريخ آداب العرب :مصطفى صادق الرافعي

المدة الزمنية: ساعة ونصف

الأهداف التعليمية:

- تقديم قراءة مستفيضة في كتاب تاريخ آداب العرب، وصولا إلى الحكم بأنه موسوعة علمية، أدبية، لغوية رصينة .
- التأكيد على أن مصطفى صادق الرافعي، قد أخرج لنا عملًا تاريخيا، ونقديا رصينًا، يعِدُهُ النقاد أحد أكبر المراجع في حقله.

1/التعريف بالمؤلف :

ولد مصطفى صادق بن عبد الرزاق، بن سعيد، بن أحمد، بن عبد القادر الرافعي، يوم 1 يناير/كانون الثاني 1880. في قرية بهتيم (محافظة القليوبية) بمصر، وأصيب بالصمم في ريعان شبابه.

كان أبوه قاضيا شرعيا، ورئيسا لكثير من محاكم مصر، وكان من عادة أسرته أن تنشّئ أبناءها تنشئة إسلامية ذات ثقافة تقليدية، فنشأ في ذلك الجو وتعلم شيئا من الدين، وحفظ أجزاءً من القرآن، ووعى نُبَذا من أخبار السلف، لم يتجاوز في التعليم النظامي شهادة الابتدائية من مدرسة المنصورة، فقد ألمّ به مرض عضال أفقده السمع، لكنه كان واسع الطموح، شديد الاعتداد بالنفس، عظيم الهمة، فاندفع يقرأ في أمهات التراث الأدبي والديني، مستعيضا عن نعمة السمع بنعمة النبوغ، فاستظهر "نهج البلاغة" قبل أن يبلغ العشرين، بدأ الرافعي شاعرا مشبوب العاطفة، جزل الأسلوب، مشرق العبارة، يتقفى آثار الأولين وينسج على منوالهم، وكان قوي الأمل، عظيم الطموح، لا ينال شيئا إلا تاق إلى ما هو أفضل منه، وكان همه الأول أن يتربع على عرش الشعر، ويتوج بتيجان القوافي، وكانت عدته لذلك موهبة فنية

راسخة مكينة، وعزيمة ماضية، ذللت له الصعاب، وجمعت عليه أطراف المعرفة، وشتات العلوم، وشوارد الأدب.

تميز أسلوبه بالقوة والصلابة، وبثراء اللغة، وكثرة ا□ازات، والاستعارات، والتفنن في ابتكار الاشتقاق من الأفعال، والذهاب □ا كل مذهب في فضاء البيان الرحب.

و كان يرى أن اللغة العربية بخصائصها المميزة هي روح الأمة، وهي قوام فكرها ووعاء ثقافتها، ويجب أن تصان عن الإسفاف والابتذال.

وعلى الرغم من شهرته بمناصرة المذهب القديم، فقد دعا إلى التجديد في فنون الشعر وقوافيه –على مذهب أهل الأندلس في الموشحات– حتى لا يضيق القول على شعراء العربية المعاصرين. في يوم الاثنين 10 مايو ،1937 استيقظ مصطفى الرافعي لصلاة الفجر، ثم جلس يتلو القرآن وشعر بألم في معدته فتناول دواء، ثم عاد إلى مصلاه، ومضت ساعة، ثم □ض وسار لكنه سقط في البهو على الأرض، ولما هب أهل الدار لنجدته، وجدوه قد أسلم الروح إلى بارئها. ودفن في اليوم نفسه بعد صلاة الظهر، إلى جوار أبويه في مقبرة العائلة بطنطا.

2/مؤلفاته:

ألف كتبا عديدة منها: وحي القلم، وتاريخ آداب العرب، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وتحت راية القرآن، وكتاب المساكين، وعلى السفود، ديوان النظرات، والسمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، وحديث القمر، وأوراق الورد، وتاريخ آداب العرب وغيرها ...

3/قراءة في الكتاب

كانت أعمال الرافعي مقصورة على الشعر والعناية به، قبل أن يقرر ترك منظوم الكلام ويتجه نحو منثوره، فقد حَادَ الرافعي عن مذهبه المعهود، وشرع في طريق التأليف والكتابة، وكان كتاب تاريخ آداب العرب، بداية هذا التحوّل، ورغم حداثة عهده بالكتابة البحثية العلمية، إلا أنه أخرج لنا عملًا تاريخيا ونقديا رصينًا، يعدُهُ النقاد أحد أكبر المراجع في حقله. ومما يدعو للذهول والإعجاب، أن كتابًا □ذه المنزلة قد ألفه الرافعي وهو شابٌ في الثلاثين من عمره، وهذا يدل على ما اجتمع للشاب من حكمة، وحصافة لا يبلغها في العادة إلا الكبار .

يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، وكل جزء يحتوى على بضعة أبواب، وهي مجتمعة اثنا عشرة بابًا:

فالجزء الأول على بابين

تاريخ اللغة ونشأ□ا وما يتصل بذلك

تاريخ الرواية والمشاهير من الرواة

الجزء الثاني بابًا واحدًا

هو الباب الثالث وفيه منزلة القرآن الكريم من اللغة، وإعجازه، وتاريخه، وقد سماه الرافعي "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.

الجزء الثالث والأخير به بقية الأبواب

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب، سنة 1329هـ-1911م، أي: منذ ثلاثين سنة تقريبًا؛ ولم يطبع بعدها إلى اليوم، على كثرة طلابه وشدة الحاجة إليه، و مما يشوق القارئ أن يعلم أن مؤلفه قد ألفه وسنه ثلاثون سنة، وهي سن قلَّما يتهيأ فيها لشاب أن يحصل من أبواب العلم باللغة، ما اجتمع للرافعي في هذا الكتاب؛ فضلًا عن أن يكون له فيما حصل من ذلك رأي، وموازنة واستنباط، □يئ له أن يؤلف ويخرج برأيه للناس في كتاب.

على أنه يعد أول كتاب في فنه؛ فما رأى قراء العربية كتاباً علميا في "تاريخ آداب العرب" قبل هذا الكتاب، وكتاب جورجي زيدان؛ وإنما كان يكتب الكاتبون من معلمي المدارس في هذا الفن -قبل هذين الكتابين- مذكرات لتلاميذهم على نسق خاص يحدده منهج التعليم؛ ليحفظوها فيجوزوا □ا الامتحان؛

ولم تكن أبواب هذا الفن محدودة الأصول والفروع، على ما يعرف القراء في هذا الكتاب والكتب من بعده، ولكنها كانت تأريخ وفيات، وبعض مختارات من شعر الشعراء، ونثر الكاتبين والخطباء، مقسمة على التاريخ الزمني، كما لا يزال إلى اليوم في بعض دور التعليم.

ولم يكن للرافعي في الأدب قبل هذا الكتاب رأي ذو خطر، أو دراسة ذات أثر أو جولان في باب من أبواب الكتابة، وإنما كان مقصوراً على الشعر معنيا به، مؤملًا أن يكون له فيه منزلة تحمل ذكر فلان وفلان من شعراء عصره؛ وقد بلغ في ذلك مبلغًا، لذلك كان عجيبًا أن يحيد الرافعي عن مذهبه في الشعر إلى الكتابة والتأليف، وكان أعجب أن يبلغ وهو في أول الطريق ما بلغ □ذا الكتاب.

وإنما لكل شيء سبب، والسبب الذي أدى بالرافعي ليبتعد عن مذهبه في الشعر إلى هذا المذهب في التأليف؛ هو إنشاء الجامعة المصرية في سنة 1907م.

ويعرف القراء مما ذكرت في "حياة الرافعي" أنه لم يحصل من الشهادات العلمية غير "الابتدائية"، إذ قطعته بوادر العلة التي وقرت أذنيه عن المدارس، فلزم داره يدرس نفسه ويعلم نفسه حتى حصل ما حصل، وظل يطلب المزيد، فلما أنشئت الجامعة المصرية، تطلع إلى ما يقال هناك في دروس الأدب، لعله يجد فيه الجديد الذي يتشوف إليه ويطلبه.

4/منهج الكتاب

أ/طريقته في مخالفة القوم:

أول ما يتميز به منهج الرافعي في كتابه هذا أنه خالف القوم في طريقته، فلم يقسّم الأدب إلى عصور كالعصر الجاهلي، والإسلامي، والأموي، والعباسي... إلخ، كما في كتب الأدب.

ويشرح سبب مخالفته قائلاً: "وأول من ابتدع هذا التقسيم: المستشرقون من علماء أوروبا، قياساً على أوضاع آدابهم ... بيد أن تلك العصور إذا صلحت أن تكون أجزاءً للحضارة العربية، التي هي مجموعة الصور الزمنية لضروب الاجتماع وأشكاله، فلا تصلح أن تكون أبواباً لتأريخ آداب اللغة العربية، التي بلغت بالقرآن الكريم مبلغ الإعجاز على الدهر... ثمَّ إنَّ التأريخ ليس فناً من الفنون العملية، التي يحذو فيها الناس بعضهم حذو بعض ... وتتساوق فيها الأمم على وضع واحد، فتأريخ الآداب في كل أمة ينبغي أن يكون مفصلاً على حوادثها الأدبية؛ لأنها مفاصل عصوره المعنوية... وهذا التأريخ فضلاً عن تداخل أدواره، بعضها في بعض حتى لا حدّ بينها، ولا يتعين لأحدها مفصل يبتدئ به أو ينتهي إليه[1].

ذم المؤلف رحمه الله الكتَّاب الذين نهجوا منهج الغرب والمستشرقين في تقسيم الأدب إلى عصور، ولكل عصر له ميزاته ولغته، فيقول: "إن تعاقب ثلاثة عشر قرناً من تأريخ الأدب الإسلامي لم ينشئ لغة أوضح مما نطقت به العرب قبل ذلك، ولا جاء الشعر بيانين أشعارها في الجملة، ولا جعل لأدبائنا مذاهب متميزة في تكوين الدين والسياسة والعلم."[2]

فقد عرض الفروق بين لغتنا وآدابنا وبين آداب العالم؛ إذ إن التأريخ مجموعة حوادث ولكل قوم حوادثه، وأن لغتنا وشعرنا لم يتغيروا خلال هذه القرون. فلم نفصله إلى فترات! وكأن كل فترة مفصولة عن الأخرى، ثم توصم كل فترة بطباع حُكامها.

وأما أسلوبه فلم يبالغ فيه بتهذيب العبارة، ولا تنقيح الألفاظ، لأن همَّه كان المادة العلمية، ولم يكثر من الأمثلة أو النماذج الشعرية كما في كتب الأدب، "رغبة منه عن حشو الكتاب بما لا فائدة فيه إلا تعذيب حجمه، تذنيب نجمه"[3]، فلم يرد المؤلف أن يعذب القارئ بكثرة النصوص ولا أن يكبر حجم كتابه، فنعم ما صنع.

ب/ تسمية العرب:

---

[1] ينظر رفاعة الطهطاوي تاريخ آداب العرب، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ج،1ص17،18

[2] المصدر نفسه ،ج1،ص19

[3] المصدر نفسه،ج1 ،ص25

يذكر في فصلين تمهيديين قبل الحديث عن لغة العرب نشأتهم، ويذكر سبب تسميتهم بالعرب، وأشار أن لعلماء اللغة كلاماً طويلاً ،ولكنه يرى أن اللفظة قديمة، يراد بها في اللغات السامية معنى البدو والبادية، وتلك خصيصة العرب في التأريخ القديم ... ثم اشتقت من هذه اللفظة لفظة الأعراب، وذلك حين تحضرت القبائل فخصوا الكلمة بأهل البادية ... وأعرابي إذا كان بدوياً"[1]. ثم يذكر تطور اللفظة فقد صار لفظ الأعرابي بعد الإسلام مما يراد به الجفاء وغلظ الطبع[2].وهذا ما أشار إليه القرآن في غير ما آية.

ج/ نشأة اللغة:

ويميل في مسألة نشأة اللغة إلى الرأي القائل، إن اللغة نشأت بالوضع (الاصطلاح) إلا أنه يشير إشارة لطيفة إلى أول الألفاظ التي يتعلمها الإنسان، وهي الألفاظ الإحسان وما يصرح به عن الوجدان.

يريد أن يقول ؛إن أول الألفاظ التي تعلمها الإنسان :الألفاظ التي يعبر بها عن شعوره ووجدانه، لاسيما الألفاظ التي يكثر فيها حروف اللين؛ لأنها سهلة النطق، مثل، آه، أوه، ويا، آخ... إلخ، وأمثالها من المقاطع الصوتية.

ولما أدرك الإنسان حقيقة هذا الاستعمال، وتقلب فيه واصطلحت عليه الجماعات، فتق له استعداده للإلهام أن يتأمل الأصوات الطبيعية الأخرى من قصف الرعد، وانقضاض الصواعق، وخرير الماء... فقلدها واهتدى بها إلى مخارج حروف أخرى ... فدار بها لسانه، وابتدأ يجمع بينها على طريق المحاكاة بالصوت على محدثه، ولايزال ذلك طبيعة في لغة الأطفال فهم يسمون الدجاجة: كا... كا، والشاة: ما... ما، السنور: نو... نو. وذكر الجاحظ (أن طفلاً سُئِل عن اسم أبيه، فقال: وو...وو... وكان أبوه يُسمى كلباً)[3] ومن هنا بدأ اختراع اللغة أي حاجة الإنسان للتعامل مع غيره من بني البشر أو من الكائنات الأخرى، فلما بدأ الاجتماع يرتقي بدأ الاختراع الحقيقي وهكذا.

والأغلب أنَّ أسلوبه يتحدث عن الظاهرة معرفاً إياها، ثم يتكلم عن بدايتها، وتضاف إلى أسلوبه في معالجة الظاهرة أو الأمر معالجة علمية تأريخية منطقية.

د/التمدن اللغوي عند العرب:

ويتحدث عن علو شأن اللغة العربية في فصل عنوانه (التمدن اللغوي)، مشيراً إلى أن اللغة غنية بألفاظها، وسِعَةِ تصرفها وتفريع من المعاني بطرق المجاز، والاستعارة، وغيرها. وذلك دليل بيّن على نية أهلها وسعة مُتفيِّئهم[4] من ظل الاجتماع، فلا يبقى إلا أن يكون للعرب تمدن لغوي خصوا به من أصل

---

[1] ينظر المصدر نفسه،ص42

[2] المصدر نفسه،ص42

[3] المصدر نفسه ،ج1،ص49

[4] تفيأ بالشجرة :استظل بظلها

الفطرة،[1] فمعنى كلام المؤلِف أن للعرب حضارة وتمدن معنوي (اللغة)، كما للأمم الأخرى تمدن مادي في مجال الزراعة، أو الصناعة. وذكر أسرار النظام اللغوي الذي تحدث عنه ابن جنّي في كتابه (الخصائص)، بما فيه من دلالة الألفاظ، والأصوات والتعابير، التي جعلت ابن جنّي يقف مبهوتاً أمام عجائب هذه اللغة، فيتردّد بين قولين في نشأة اللغة، وهما: الاصطلاح والتوقيف.

شواهد العربية:

أما الباب الثاني، فقد تكلم فيه على الرواية والسند في الحديث النبوي ثمّ في اللغة، وكيف دونت اللغة، ثم عرّج على شواهد اللغة، فقال: إنّ معظم شواهد العربية من الوضع ؛والكوفيون أكثر الناس وضعاً للأشعار، التي يستشهد بها لضعف مذاهبهم وتعلقهم بالشواذ.

نقول: إنَّ الأمر يحتاج إلى نظر، وذلك أن كثيراً من شواهدها تُنسب إلى شعراء يحتج بشعرهم، أما الشواهد التي لايعرف قائلها، فإنها تحت وصف أو تصنيف المؤلِف.

القرآن واللغة:

وعندما يستعرض المؤلِف الرواية والرواة فيمزج بين الحديث والتأريخ واللغة، فإنَّ أمر اللغة لا ينفصل عن القرآن والحديث والأدب، أي أنه يربط اللغة بالقرآن ربطاً وثيقاً لأنها شرفت به، ما تطورت ولا حُفظت إلا به، وتلك ميزة أخرى تضاف إلى منهج الرافعي رحمه الله.

أما الجزء الثاني من الكتاب فيتحدث فيه عن أمرين:أحدهما: القرآن وما يتعلق به من جمع، وتدوين، وقراءة، وتأثير القرآن في اللغة ،والقرآن والعلوم، والإعجاز. والآخر: البلاغة النبوية وتأثيرها في اللغة.

فحينما يتكلم عن جمع القرآن، يذكر مقولة: أن لعلي بن أبي طالب مصحفاً، يتوارثه بنو حسن، وفي الفهرست لابن ، أنه رأى عند أبي يعلى حمزة الحسيني، مصحفاً بخط علي يتوارثه بنو الحسن. ثمّ يعلق المؤلِف (ونحن نحسب ذلك خبراً شيعياً لأنه غير شائع) ويبدو أن ذلك من الأخبار التي استند عليها الشيعة في اعتقادهم، وادعائهم أن عندهم ما يسمى (مصحف فاطمة)، الذي يبلغ ثلاثة أضعاف المصحف الموجود بين يدي المسلمين.

الأحرف السبع (اللغات):

يشير المؤلِف إلى حديث الأحرف السبعة، و المراد بالأحرف اللغات، التي تختلف بها لهجات العرب، حتى يوسع على كل قوم أن يقرؤوه بلحنهم، وما كان العرب مبهمين من معنى الحرف في الكلام إلا اللغة. أما لماذا جعلت سبعاً؟ فيقول: إنما جعلت سبعاً رمزاً إلى ما ألفوه من معنى الكمال في هذا العدد، وخاصةً فيما يتعلق بالإلهيات: كالسموات السبع، والأرضين السبع، والأيام السبع، وأبواب الجنة، والجحيم ونحوها .فهذه حدود تحتوي ما وراءها بالغاً ما بلغ، وهذا الرمز من ألطف المعاني وأدقها، إذ يجعل القرآن في لغته وتركيبه ،كأنه حدود وأبواب لكلام العرب كله الإعجاز في القرآن.

[1] المصدر نفسه،ص189، 190

ويتحدث عن الإعجاز القرآني مشيراً إلى آراء العلماء، فمنهم من يقول: إنّه ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب، وبعضهم يقول: إنّ أوجه الإعجاز في سلامة ألفاظه مما يشين اللفظ... وآخرون يقولون: بل ذلك في خلوه من التناقض ... وجماعة يذهبون إلى أن الإعجاز مجتمع في بعض الوجوه التي ذكرناها كثرة أو قلة، وهذا الرأي حسن في ذاته لا لأنه الصواب، ولكنه يدل على أن كل وجه من تلك الوجوه ليس في نفسه الوجه المتقبل.

سبب علم البيان:

أما الرأي المشهور في الإعجاز البياني الذي ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني صاحب (دلائل الإعجاز) المتوفى 471 هـ ،وكثير من المتوسمين بالأدب يظنون أن أول من صنّف فيه هو الجرجاني ؛وذلك وهم فإن أول من جوّد الكلام في هذا المذهب، وصنف فيه أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفى 306 هـ، ثمّ أبو عيسى الرمّاني المتوفى 382 هـ، ثم الجرجاني وهذا الرأي كان هو السبب في وضع علم المعاني.

أولية الشعر:

أما الجزء الثالث من الكتاب فقد تحدث فيه عن الشعر، ففي الباب الأول، ذكر أولية الشعر العربي، و أن أوليته،لا ترتفع عن مائتين قبل الهجرة، ولا يذهب عنك أننا لا نريد بالشعر التصورات والمعاني فهذه فطرية ... إنما نريد بالشعر هذا الموزون المقفى باللغة التي وصلتنا. وما ذكره المسعودي في كتابه (مروج الذهب) من أشعار العربية، ينسبها إلى القبائل البائدة، كعاد وثمود وطسم قال المؤلف: (هي روايات لا يقيدها بتأريخ، ولا يحدها بزمن، فيمكن على ذلك أن تدخل في غمار المفتريات والأقاصيص).

فنون الشعر:

ذكر فنون الشعر القديمة :كالهجاء، والمدح، والغزل، والشعر الوصفي، وشعر الحكمة، والشعر الهزلي والقصصي، والعلمي، متحدثاً عن كل فن ودواعيه وسماته، ثمّ تحدث عن الفنون المستحدثة وهي الموشح، وأشار إلى رأي ابن خلدون؛أن أصل استحداث هذا الفن هو كثرة الشعر وتذييه، فبلغ التنميق فيه الغاية ... وأن أول من اخترعه هو مقدم بن معافر. قال المؤلِف:" وعندنا أن الذي نبههم إلى اختراع أوزان التوشيح هو الغناء لا غيره، فإن تلحين البيت من الشعر قد يجيء على بعض الوجوه كالموشح إذ يخرج جملاً مقطعة تتساوق مع النغم، فلو تنبه إلى ذلك أديب موسيقي لأمكنه أن يضع أوزاناً على هذه التقاطيع ..."[1] والذي يدل على أن الغناء هو الأصل أن الأندلس فتحت في أواخر القرن الأول، ولم يخترع التوشيح إلا في الربع الأخير من القرن الثالث ... ثمّ قدم زرياب المغني من العراق على الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة 206 هـ وكان الأمير مفتوناً بالغناء، فلم يمض على ذلك زمن حتى شاع الغناء. وأول من اخترعه هو محمد بن محمود المقبري الغريري كما تشير كتب التأريخ، ثمّ (دوبيت) وهي تتكون

[1] المصدر السابق ،ص775

من كلمتين هما (دو) الفارسية بمعنى اثنين والثانية (بيت) وهي عربية، وقد أخذه أدباء العرب من الفرس ويستنكر المؤلف على ابن خلدون كيف عده من شعر عامة العرب ويقول: "نرجح أن هذا نوع لم يكن في العربية قبل القرن السابع، لأننا لم نجده في شعر أحد قبل ذلك الزمن، ولا وجدنا إشارة إليه"[1] ... والرباعي يُعد من المخترعات الحديثة في اللغة الفارسية لأن أول من وضعه أبو سعيد بن الخير المتوفي 465 هـ ونضرب مثلاً عليه:[2]

يا منْ بسنانِ رمحِه قد طعنا والصَّارمُ منْ لحظهِ قطعنا
ارحمْ دنفاً في سنّهِ قد طعنا في حبكَ لا يصيبهُ قطُّ عنا

(والزجل) نظم على منوال الدوبيت، ولكنه لايلتزم الإعراب. (والكان كان والقوما) وهما فرعان من الزجل.

حقيقة المعلقات:

يتحدث في الباب السادس عن حقيقة المعلقات فيقول:" إنها من مختار الشعر، فهذا أمر لاندفعه ... أمّا خبر التعليق على أستار الكعبة أو كتابتها بماء الذهب فإنه من الأخبار الموضوعة التي خفي أصلها حتى وثق بها المتأخرون"[3]، ثمّ قال: "غير أنه مما لاشك فيه عندنا أن تلك القصائد لا تخلو من الزيادة وتعارض الألسنة قل ذلك وكثر، أما أن تكون بجملتها مولدة فدون هذا البناء نقض التأريخ"[4]

وفي الباب السابع تطرق للأدب الأندلسي وخصه في باب واحد؛ لأنه لم ينل العناية من المؤلفين لذا يقول:" لما قرأنا تأريخ الأندلس ... ورأينا ما أذهلنا من إغفال المؤلفين في الأدب والعلوم وتراجم رجالها لهذا النوع الفينان من الحضارة العربية"[5]

الصناعات الأدبية:

ضرب من الصناعات الأدبية ولع بها المتأخرون بعدما ضعفت اللغة ثمّ ،فشت الصناعات فيها وضربت لها عروق الحياة، ووجد الأدباء من جهل الخاصة وانصرافهم عن الأدب الصحيح ما صرفهم إلى أنفسهم، وجعل بأسهم بينهم فتنافسوا في الاكتساب والإغراب، وصارت الصناعات مقصودة ذاتها، فتبعتها اللغة بعد أن كانت متبوعة. ومن هذه الصناعات: لزوم ما لايلزم وقد اشتهر به المعري، والقوافي المشتركة، والتخميس، والملاحن، والألغاز والأحاجي وغيرها[6]

مميزات الكتاب:

---

[1] المصدر السابق ،ص780

[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[3] المصدر نفسه،ص799

[4] المصدر نفسه،ص804

[5] المصدر نفسه،ص866

[6] ينظر المصدر نسه ، من الصفحة 903إلى الصفحة 1023

ويمكن أن نجمل ميزات هذا الكتاب في نقاط عدة:

أولاً: أنه خالف القوم في منهجه، فلم يقسم الأدب إلى العصور، وكأن الأدب قطعة واحدة، فتقسيم الأدب إلى عصور متعددة ينتج أموراً هي:

1. إخضاع الدراسة التاريخية للأدب في ضوء التقسيمات تجعلها ترتبط بأمر السياسية وصراعات المذهبية تتطبع بطابعها مما يخدم الفلسفات الحديثة التي تربط الإنسان بالمصالح المادية، وتقسيم ولاءات الناس للقومية والوطنية.

2. وهي تتجاهل تأثير الإسلام وكأنها تقول إنّ المؤثرات الحقيقية التي أنتجت الأدب هي المؤثرات المادية والمنفعة، والعشائرية، والولاء للوطن فيبرز دافع الوطنية بدل العقيدة الإسلامية.

3. ترتبط هذه التقسيمات بدراسات المستشرقين الذين أرادوا طمس اللغة والأدب، ويحاولون إبراز جوانب التقدم العلمي والثقافات المتعددة في التاريخ دون تأثير الإسلام فيه ولا للعلماء، الفقهاء، أي: ينظرون إلى تأريخنا كما ينظرون إلى كنيسة.

4. ومن مظاهر هذه التقسيمات هو تتبع النقاط الصغيرة أو الشاذة؛ ليجعل منها معلماً واسعاً كالمجون والخلاعة، والنزعة القومية كما في دراسة العصر العباسي فالتأكيد على المجون، وأنها من أغراض الشعر الجديدة في تلك الفترة هي انحسار لنور الإسلام في الأدب، وإظهاره بمظاهر الفسق والفجور، بحيث ارتبط لدى طلاب العلم أن العصر العباسي هو عصر المجون والخلاعة.

ثانياً: قلة النماذج أو الأمثلة الشعرية حتى لايُكثر على القارئ ويجهده.

ثالثاً: لايزال يربط بين العربية والقرآن: إذ سمت وبقيت به.

رابعاً: التحقيق العلمي الدقيق للظاهرة المعروضة ثمّ عرضها تأريخياً فلا ينسى هذه المسألة في كل كتابه؛ لأنه تأريخ أدب، فيبدأ بالمسالة فلا يتعداها حتى يستوفي حقها.

خامساً: الجرأة العلمية والأدبية في نقض آراء المؤلفين، وآراؤه مبثوثة في الكتاب، وقد ذكرنا جزءاً منها.

ما يشبه المآخذ على الكتاب:

1. عدم ذكر المصادر أحياناً عند سرد النص من الكتب؛ لأنه لم يرد إرهاق القارئ، وهذا رأيه الشخصي ولو ذكرت لكان أنفع.

2. عدم ذكر الفنون الحديثة كالمقالة والمسرحية وغيرها لأنه لم يستطع إكماله.

وبعد نقول:

حري بجامعاتنا ومعاهدنا أن تتبنى هذا الكتاب منهجاً لطلابها؛ لما تميز به من منهج فذ في دراسة تأريخ الأدب العربي.

ملحوظة :للتوسع أكثر ينظر المؤلف موضوع الدرس فهو موسوعة بحق

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذة: نسيمة غضبان

المستوى/التخصص:الأولى ماستر /اللسانيات العربية

المقياس :بيبليوغرافيا علوم اللسان العربي الحديثة (الأفواج 1-2-3)

عنوان الدرس التطبيقي:"كتاب المواهب الفتحية" لحمزة فتح الله في علوم العربية

المدة الزمنية: ساعة ونصف

الأهداف التعليمية:

- التعرف على أهم المحطات الأدبية، واللغوية، التي احتواها كتاب المواهب الفتحية في علوم العربية.

1/ التعريف بالمؤلف :

ولد حمزة فتح الله سنة1849م ،وهو أحد مشايخ الأزهر ،وأحد أعلام اللغة العربية في العصر الحديث، هو من أصول مغاربية ، فوالده من تونس ، ولكنه هاجر إلى مصر واستقر ا ، وعمل إماما ا ،وتوفي قبل مولد ابنه حمزة وبعد ولادة الكاتب كفلته أخته وزوجها ، الذي حرص على تعليمه، فتعلم في الكتاب ، التحق بجامع الأزهر ودرس فيه بتوسع كبير، في علوم منها علوم الفقه ،والتفسير والأدب واللغة ،وكان مهتما باللغة العربية أشد الاهتمام ،حريصا على الحفظ والقراءة في علومها .

رجع حمزة بعد أخذه الإجازة من الجامع الأزهر إلى الإسكندرية، حيث درس هنالك بعض الوقت ثم انتقل للعمل في ا ال الصحفي، فعمل مساهماً في تحرير جريدة "الكوكب الشرقي" الأسبوعية، ثم تلقى دعوة من تونس ليترأس تحرير جريد ا الرسمية وهي "الرائد التونسي"، كما عمل مع الحكومة التونسية حيث تولى إدارة المطبعة الأميرية التونسية.

وعاد الشيخ حمزة إلى الإسكندرية عام 1881 وعمل في تحرير جريدة "البرهان" الأسبوعية التي كانت تصدر من الإسكندرية كل خميس، ثم أنشأ جريدة مستقلة أطلق عليها اسم "الاعتدال" عام 1882.

عمل الشيخ حمزة مفتشاً للغة العربية, وتولى رئاسة قلم الإنشاء والترجمة, واستعان به علي مبارك في تطوير المناهج بمدرسة دار العلوم، وألقى فتح الله في هذه المدرسة محاضراته الشهيرة في علمي اللغة والأدب والتي جمعت في كتاب اسمه "المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية"، ودارت هذه المحاضرات حول قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "العالم أمين الله في الأرض".

كما ألقى . رحمه الله . محاضرة تحت عنوان "باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام" في المؤتمر الثامن للمستشرقين في استوكهولم سنة 1889م, تناول خلاله العديد من القضايا الإشكالية حول حقوق المرأة في الإسلام، ومكانتها في الفقه الإسلامي ،كقضية تعدد الزوجات والطلاق وقضايا الزواج وأحكامه.

2/ مؤلفاته:

- العقود الدرية في العقائد التوحيدية
- الكلمات غير العربية في القرآن الكريم
- التحفة السنية في التواريخ العربية
- باكورة الكلام على حقوق المرأة في الإسلام
- المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية

توفي الشيخ حمزة فتح الله في 8 جمادى الأولى 1336 هـ الموافق 19 فبراير 1918م.

3/– قراءة في الكتاب:

ترك الشيخ حمزة فتح الله، آثارًا دالة على غزارة علمه، ودقة بحثه وتمكنه من أسرار العربية وإلمامه بدقائقها، وقد اتسمت هذه المؤلفات بالبحث المنظم والنسج المحكم، والاستيعاب الدال على سعة العلم،ومنها كتاب : "المواهب الفتحية في علوم العربية" التي أحيا ما اندثر من آثار السابقين، وجرى فيها على طريقة الجاحظ والمبرد والقالي والمرتضى في أماليهم، وهي فنون من اللغة، والأدب ،والعلم وهي دالة على سعة اطلاعه، وطول باعه في علوم مختلفة من أدب ،ونحو، وصرف، وبلاغة، وتاريخ، وغير ذلك فهي أخذ من كل فن بطرف، وجمع لما يوسع المدارك ويثقف الأذهان، وهو إذ يعرض خطبة من خطب العرب، أو قصيدة من قصائدهم، أو رسالة من رسائلهم يترجم للخطيب أو الشاعر، أوالأديب ويذكر شيئا من خبرهم، ثم يشرح أثره الشعري أو النثري شرحا لغويا دقيقا، ويستطرد إلى إعراب الشعر، ويعرج بذكر طرف من النحو أو الصرف، أو البيان مقابلا بين هذا المعنى، وما ذهب إليه غيره، ويطوف بك بين رياضه، ويهدي إليك من ثماره، وأنت مفتون بما أهدى إليك، معجب بطريقته في البحث، ومنحاه في الدراسة وحسن تنظيمه، وترتيبه.

يشتمل كتاب المواهب الفتحية ، في علوم العربية على جزأين حافلين بالنكت الأدبية، والبحوث المختلفة التي تقوم الألسنة، وتمد الأقلام وتنفع الأديب بما لا غنى له عنه.والكتاب مطبوع في جزأين متداولين.

ملوحظة :للتوسع ينظر المراجع الآتية:

– أحمد الإسكندري ومصطفى عناني : الوسيط في الأدب العربي وتاريخه

–أحمد تيمور : أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث

– سليمان فرج، الكنز الثمين لعظماء المصريين